أعمال موجهة مضمون الخطاب الشعري القديم

المستوى :ماستر ١، تخصص: أدب قديم

الأستاذة : وهيبة لماني

شعر الرؤية الصوفية

يمكن أن نضعه تحت خمسة أصناف هي:

١- **الحب الإلهي** : يعتبر "الحب الإلهي " حجر الزاوية في الرؤية الصوفية ، وعليه تتأسس نظريتهم في المعرفة بل في الوجود كله ، والحب الصوفي يتسم بمشاعر متبادلة بين الحبيب والمحب ومشاعر الحب الصوفي هذه هي حالات متدرجة يترقى بها شيئا فشيئا ومن أماراتها الشوق إلى الله ، وهو هيمان القلب عند ذكر المحبوب

يقول الحلاج :

إذا ذكرتك كاد الشوق يقتلني وغفلتي عنك أحزان وأوجاع

وصار كلي قلوبا فيك داعية للسقم فيها وللآلام اسراع

والشوق يسكن باللقاء والرؤية ، ولكنه لا يزول وفي هذا المعنى انشدوا.

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقًا

والحب الصوفي سرّ في قلب العبد يحرص على كتمانه كل الحرص

يقول الشبلي:

صحّ عند الناس أني عاشق غير أن لم يعلموا عشقي لمن؟

ويكابد الصوفي في إخفاء حبه ، ولكن قد تفضحه العيون ، وعادة ما يعبر الصوفي عن ذلك بالبكاء والزفير والشهيق ، وكان الصمت والسكوت في مقابل ذلك أمارة على تمكّن الحب من نفس الصوفي وثبوته وصدق توجهه إلى ربه .

ويجعل الشبلي من نفسه وحيدًا بين المحبين من أهل الهوى لأنه كتم هواه وباح به غيره

باح مجنونُ عامرٍ بهواه وكتمتُ الهوى ، ففزتُ بوجدي

فإذا كان في القيامة نودي " أين أهل الهوى" ؟ تقدمت وحدي

٢- **السكر الصوفي:**

نعني بالسكر الصوفي تلك النشوة العارمة التي تفيض بها نفس الصوفي وقد امتلأت بحب الله حتى غدت قريبة منه كل قرب ، وقد عبر الصوفية بألفاظ متقابلة عن حالات هذه النشوة ودرجاتها كالغيبة والحضور والصحو والسكر والذوق والشرب وغيرها.

والسكر الصوفي حال من الدهش الفجائي يعتري العبد فيذهله عن كل حسن غير حضور الحبيب ، ويغمر نفسه بنشاط دفاق يوقظ فيها الوله والهيمان ، وما كان ذلك ليحد بالطبع لولا امتلاء القلب بحب الله . فالسكر كما يقول الشبلي ثمرة المحبة ، والشراب الصوفي ليس خمرًا تدير الرأس وتثقل الحواس وتضرب غشاوة على القلب ، بل هي على العكس توقظ النفس وتنعش الوجدان وتجلو عين البصرة وتفتح أمام القلب أرحب الآفاق نسب للشبلي قوله :

الغيم ، رطب ينادي يا غافلين الصبوحُ
فقلت أهلاً وسهلاً ما دام في الجسم روح

٣ – زوال الحجب:

يسعى الصوفي دائمًا إلى اسقاط الوسائط بينه وبين الحبيب ، ويرى أن قيام أية واسطة يعني أن الوصول لم يتم بعد ، إذ أن آية الواسطة هي رؤية الأسباب ، يقول أبو علي الروذباري :

من لم يكن بك فانيا عن حبه وعن الهوى والأنس بالأحباب
أو تيّمتْه صبابة جمعت له ما كان مفترقا من الأسباب
فكأنه بين المراتب واقف لمنال حظ أو لحسن مآب

لقد نزّه الصوفية عباداتهم وشعائرهم عن أي غرض أو منفعة ، بل اتخذوها وسيلة لمعرفة الحبيب . وليس لبلوغ الجنة أو النجاة من النار .

ويناشد الحلاج ربه فيقول :

أريدك لا أريدك للثواب ولكني أريدك للعقاب
وكل مآربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

ولم يقف الأمر لدى المتصوفة عند إزالة الحجب عن المفهوم التقليدي للجنة والنار ، أو عن الظواهر السائدة للعبادات ، بل تجاوزوا ذلك إلى ما هو أدق وأعمق وأعني بها الصلة بين العبد وربه . فقد سعى الصوفية إلى إقامة صلة حميمية من الحب بينهم وبين ربهم ، بحيث اذابوا الحدود وكشفوا الحجب و أزاحوا الغشاوة ، متوسلين لذلك بالخلاص من أسر الجسد ، وبلوغ درجة الفناء عبر طريق شاق من المجاهدات " تعذيب الجسد مادام أن الروح عائدة إلى باريها حيث الحياة الحقيقة"

يقول الحلاج :

اقتلوني يا ثقاتي انّ في قتلي حياتي

ومماتي في حياتي وحياتي في مماتي

أنا عندي محو ذاتي من أجلّ المكرمات

وبقائي في صفاتي من قبيح السيئات

سئمت روحي حياتي في الرسوم الباليات

٤-**غلبة الشهود** : وهي المرتبة الثانية من مراتب الفناء التي قال عنها القشيري :انها فناء العبد عن صفات الحق بشهوده الحق ومعنى ذلك أن شعور الصوفي ذاته قد اختفى نهائيا وفنى تماما في مشاهدة الحق حتى نسي نفسه وما سوى الله ، فلو قلت له : من أين أنت وأين تريد؟ لم يكن له جواب غير قول الله ، وإذ يبلغ الصوفي هذه المرتبة يصدر عنه مثل هذا القول :

رأيت ربي بعين قلبي فقلت : من أنت ؟ قال: أنت

فليس للأين منك أين وليس أين بحيث أنت

وليس للوهم منك وهم فيعلم الوهم أين أنت ؟

ففي فنائي فنا فنائي وفي فنائي وجدت أنت

في محو اسمي ورسم جسمي سألت عني فقلت : أنت

أشار سرّى إليك حتى فنيت عني ودمت أنت

٥-**المعرفة:**

وهي أعلى درجات الفناء ، وغاية سفر الصوفي إلى ربه، فالمعرفة الصوفية نداء داخلي يمتلأ به قلب الصوفي الذي كلأه حبيبه بالولاية ، فيلبّيه ضرورة واتساقًا كما لباه الحلاج

لبيّك لبيّك ،يا سرّي ونجوائي لبيّك لبيّك ، ياقصدي ومعنائي

ادعوك ، بل أنت تدعوني إليك،فهل ناديتُ إياك أم ناديت ايائي

والولاية الصوفية هي التي وصفها الحلاج قائلا :" إذا أراد الله أن يوالي عبدًا من عباه فتح عليه باب الذكر ، ثم فتح عليه باب القرب ، ثم اجلسه على كرسي التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب : فَيريه الفردانية بالمشاهدة ، ثم أدخله دار الفردانية ، ثم كشف عنه الكبرياء والجمال ، فإذا وقع بصره على الجمال بقي بلا هو ، فحينئذ صار العبد فانيا وبالحق باقيا"

يقول الحلاج :

أنا أنت بلا شك فسبحانك سبحاني

وتوحيدك توحيدي وعصيانك عصياني

واسخاطك اسخاطي وغفرانك غفراني

المراجع المعتمدة:

١-شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني.

٢ -عدنان حسين العوادي، الشعر الصوفي .